

إزالة اللبس والعناء ببيان أحكام الغناء

د. يسري سعد عبدالله أحمد *

مستخلص البحث:

يتلخص هذا البحث في ذكر الأحكام الشرعية المتعلقة بمسألة الغناء وبيان ما يعرض لها من جواز في بعض الحالات، وتبين الأضرار الناجمة من ممارسة أو سماع الأغاني المحرمة شرعاً والتي تشغل بها كثير من شباب المسلمين في هذا العصر، ذكراً مع كل حكم لدليله الشرعي الذي استند عليه.

Abstract :

The Purpose of this research is to State the legislative Commands that are related to the question of singing so as to explain they are allowed in some situations, and to explain the damages that result from practicing or listening to the legislatively banned songs about which many Muslim young men are concerned at this phase. Stating every command with its legislative evidence.

* أستاذ مساعد، بكلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية.

تمهيد:

الحمد لله الذي شرع لنا من الدين ديناً وسطاً، لا إفراط فيه ولا تفريط، وبين لنا الأحكام بياناً وافياً، فلم يدع مجالاً للتزمت ولا سبيلاً للانحلال والتخليط، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أرشد الخلق لطريق الحق وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واهتدى بهداه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإننا صرنا في عصر أطلق عليه العلماء عصر الشهوات، وآل مصيرنا إلى زمن عجت فيه الدنيا بالمفاسد، وكشرت الفتن عن أنيابها، فانهمك الناس في دنياهم لا يلقون للأخرة بالاً، وانساقوا وراء ملذاتهم فصارت عقولهم خبالاً، حتى أصبح كل من هب ودب يتكلم في أحكام الشريعة من غير معرفة ولا فهم فجر إليهم ذلك وبالاً.

هذا ومن ضمن تلك المسائل التي عمت بها البلوى في زماننا هذا مسألة الغناء، إذ صار جله تميم وسفور، يدعو إلى الرذيلة والفجور فظن كثير من أتباع الهوى أنه من المباح الذي يروح به عن النفس، وأنه من الفن البريء الذي يهدف إلى ثقافة الأمة والارتقاء بها إلى مصاف الدول المتقدمة، وهم لا يدرون أنهم بذلك قد حملوا معاول لهدم كيان المجتمع وكسر شوكته وتمييع إرادته المتمثلة في توهين الشباب المسلم فصار شباب المسلمين شباباً هشاً لا نخوة فيه، انعدمت فيه المروءة، وقلت فيه الرجولة، والله المستعان. ونظراً لما قدمته من أسباب رأيت أن أبحث في مسألة الغناء بحثاً علمياً موضوعياً لكي أبين فيه ماهية الغناء والأحكام التي تعتريه ليكون ذلك مدعاة للعامة لوضع الأمر في نصابه ومعرفة حلاله من حرامه.

ولما كان بيان الحلال من الحرام يحتاج لقدر كبير من التثبت، وإعمال الفكر، والتجرد عن الهوى، والنظر الدقيق في نصوص الشريعة بقيادة العلماء الراسخين في العلم، فقد ألزمت نفسي في هذا البحث ببيان هذه المسألة تبعاً لما عليه جمهور العلماء الذين هم قادة الأمة في فهم الأحكام الشرعية ليكون بذلك بحثاً علمياً مقنعاً لمن أمعن في الضلالة، وانغمس في وحل الشهوات، وتاه في فيافي الرذيلة.

والبحث يتضمن زيادة على هذا التمهيد مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وأخيراً فهرساً للهوامش.

والله أرجو أن يوفقني للصواب، وأن يجنبني الزلل، وأن يخرج بصورة طيبة
ترضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما اعتمادي وتوفيقي في كل ذلك إلا بالله
عليه توكلت وإليه أنيب...

مقدمة:

مما يجدر ذكره في هذه المقدمة أن نتعرض لتعريف الغناء في لغة العرب وعند
الفقهاء حتى يستطيع القارئ أن يميز حقيقة الشيء قبل الحكم عليه إذ أن الحكم على الشيء
فرع عن تصويره.

الغناء لغة: هو ما طُرب به من الصوت، يقال: غنى فلان يغني أغنية وتغني
بأغنية، فجمعها الأغاني، وغنى بالمرأة: تغزل بها، وغنى الحمام وتغنى صوت⁽¹⁾.

أما الغناء اصطلاحاً: فهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به، الذي يحرك النفوس
ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن⁽²⁾.

هذا ويتضح من التعريف الاصطلاحي للغناء أنه منصب في الغناء المحرم شرعاً
ويؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن أغلب الأغاني التي يتغنى بها الناس وتتناقلها الفضائيات
ويحرص على استماعها الشباب هي من قبيل الغناء المحرم والله المستعان.

المبحث الأول: في أسماء الغناء:

أوردت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ذكر الغناء بعدد من الأسماء
والأوصاف التي تدعو ذا البصيرة إلى النفور والابتعاد عن موارد الفتن ومزالق الشيطان
وهذه الأسماء والأوصاف تنوف على العشرة فنوردها لمزيد من الفائدة وهي⁽³⁾:-

* الاسم الأول: اللهو ولهو الحديث قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (6) وَإِذَا تَلَّتْ عَلَيْهِ

آيَاتُنَا وَلَى مُسْتَكْبِرًا كَانَ ثَمَّ يَسْمَعُهَا كَانَ فِي لُذُنَيْهِ وَقَرَأَ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(7)». سورة لقمان.

قال أكثر المفسرين في تفسير هذه الآية أن لهو الحديث هنا هو الغناء لأنه يلهي عن ذكر الله تعالى.

* الاسم الثاني والثالث: الزور واللغو، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا(72)﴾. سورة الفرقان.

قال: محمد بن الحنفية^(٩): ((الزور مهنا الغناء)).

واللغو في اللغة: كل ما يلغى ويطرح والمعنى: لا يحضرون مجالس الباطل وإذا مروا بكل ما يلغى من قول وعمل أكرموا أنفسهم أن يلقوا عليه أو يميلوا إليه.

* الاسم الرابع: الباطل. والباطل ضد الحق يراد به المعلوم الذي لا وجود له والموجود الذي مضى وجوده أكثر من منفعتة. قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا(18)﴾. سورة الإسراء.

* الاسم الخامس: رقية الزنا: فهو اسم موافق لمسماء، ولفظ مطابق لمعناه فليس في رقية الزنا أنجع منه، وهذه التسمية معروفة عن الفضيل ابن عياض^(٩).

* الاسم السادس: سبب النفاق: لقد ورد النص الصريح في تسمية الغناء بمنبت النفاق وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل⁽⁴⁾).

* الاسم السابع: قرآن الشيطان: وأما تسميته قرآن الشيطان فمأثور عن التابعين، فقد قال قتادة^(٩): (لما أهبط إبليس قال: يا رب لعنتني فما عملي؟ قال السحر، قال: فما قرآني؟ قال: الشعر، قال: فما شرابي؟ قال: كل مسكر، قال: فأين مسكني؟ قال: الأسواق. قال: فما صوتي؟ قال: المزامير، قال: فما مصابدي قال: النساء⁽⁵⁾).

* الاسم الثامن: الصوت الأحمر والصوت الفاجر: وأما تسميته بالصوت الأحمر والصوت الفاجر فهي تسمية الصادق المصدق الذي لا ينطق عن الهوى، فقد روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبدالرحمن بن عوف إلى النخل فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه فوضعه في حجره ففاضت عيناه فقال عبدالرحمن: أتبكي وأنت تنهى الناس؟ قال: (إني لم أنه عن البكاء وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة...⁽⁶⁾ الحديث.

* الاسم التاسع: صوت الشيطان: وأما تسميته صوت الشيطان فقد قال تعالى للشيطان وحزبه ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (81) وَاسْتَغْفِرُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَبْلِكَ وَرَجَلَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِذُّهُمْ وَمَا يَعْزُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (82)﴾. سورة الإسراء.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، أخبرنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد: (واسْتَغْفِرُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) قال: استنزل منهم من استطعت. قال: وصوته الغناء والباطل.

* الاسم العاشر: السمود: وأما تسميته بالسمود. فقد قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61)﴾. سورة النجم.

قال عكرمة^(*) رحمه الله تعالى: (الغناء في لغة حمير) يقال أسمدي لنا أي غني لنا⁽⁷⁾.

هذا وما تقدم من ذكر أسماء الغناء في هذا المبحث والاستشهاد عليها من النصوص الشرعية يتبين لكل عاقل أن شيئاً جمع كل هذه الأسماء الشنيعة والقبیحة ينبغي أن يجتنب وينفر منه ولو لم يدل دليل على تحريمه فضلاً عن وجود الأدلة القاطعة على تحريمه والزجر عنه.

أسماءه دلت على أوصافه * * تَبَيَّنَ لذي الأسماء والأوصاف

المبحث الثاني: أدلة تحريم الغناء:

لقد تواردت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال العلماء على تحريم الغناء والنهي عنه بما لا يدع متسعاً لذي هوى باطل أن يشكك في حرمة أو تهوين أمره أو تسويغه لذوي النفوس المريضة وسنورد ذلك على حسب تدرج الأدلة إن شاء الله تعالى.

أولاً: أدلة تحريم الغناء من القرآن الكريم:

ذكر الإمام القرطبي(*) في تفسيره(8) ثلاث آيات قال عنها أنها التي استدلت بها العلماء على كراهة الغناء والنهي عنه.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ... (6) ﴾ سورة لقمان. واللهو في الآية بمعنى الغناء، وحلف على ذلك ابن مسعود بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات إنه الغناء، وروى ذلك كذلك عن ابن عمر وعكرمة وميمون بن مهران ومكحول.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61) ﴾ سورة النجم. قال ابن عباس: هو الغناء بالحميرية.

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَضَعَّ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ (64) ﴾ سورة الإسراء. قال مجاهد(*) الغناء والمزامير.

أما أدلة تحريمه من السنة فكثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي أمامة: (وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت(9)).

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث علي رضي الله عنه: (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء - فذكر منها: إذا اتخذت القينات والمعازف(10)).

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي أمامة: (لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمانهن حرام...⁽¹¹⁾). الحديث.

ومعنى القَيْنَاتُ في الحديث المغنيات ومفردها قَيْنَةٌ، وإنما قيل للمغنية قينة إذا كان الغناء صناعة لها وذلك من عمل الإماء دون الحرائر⁽¹²⁾.

إذا علمت ذلك يستفاد من هذا أن الشأن في الغناء أنه يكون مهنة للنساء الإماء فقيام الرجل به يعتبر من قبيل التخنث والتميع الذي يخرج الرجل عن دائرة التقوى والمروءة، وقيام النساء الآن بالغناء يدخلهن في نطاق الإماء والله المستعان.

وعن أبي برزة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فسمع رجلين وهما يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول:

يزال حوارى تلوح عظامه * * روى الحرب عنه أن يحن فيقبرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (انظروا من هما؟) فقالوا: فلان وفلان قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم أركسهما ركساً⁽¹³⁾ ودعهما⁽¹⁴⁾ إلى النار دعا⁽¹⁵⁾).

وعن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير⁽¹⁶⁾) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي بعثني بالحق لا تتقضي هذه الدنيا حتى يقع بهم الخسف والمسح والقذف) قالوا: ومتى ذلك يا نبي الله بأبي أنت وأمي؟ قال: (إذا رأيت النساء ركنن السروج، وكثرت القينات، وشهد شهادات الزور، وشرب المسلمون في آنية أهل الشرك الذهب والفضة، واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فاستدفروا⁽¹⁷⁾ واستعدوا) وقال هكذا بيده وستر وجهه⁽¹⁸⁾.

هذا وما تقدم في مبحث أسماء الغناء نذر يسير من الأحاديث التي فيها تصريح بزم الغناء والترهيب من ممارسته أو الاستماع إليه ففيها كفاية لمن كان له رغبة في معرفة الحق وأتباعه لا لمن عاند وكابر وأتبع هواه وجرى وراء شهواته. أما ما ورد من آراء

العلماء في حكم الغناء فيكاد تحريم الغناء يعتبر من المسائل المتفق عليها على ما سنبينه إن شاء الله تعالى.

رأي المالكية: يرى المالكية حرمة الغناء ولذلك قال أصبغ: ما جاز للنساء مما جوز لهن من الدف والكبر⁽¹⁹⁾ في العرس فلا يجوز للرجال عمله، وما لا يجوز لهم عمله لا يجوز لهم حضوره ولا يجوز للنساء غير الكبر والدف ولا غناء معها ولا ضرب ولا برابط⁽²⁰⁾ ولا زممار وذلك حرام محرم في الفرح وغيره⁽²¹⁾.

رأي الأحناف: أما مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب وقوله فيه أغلظ الأقوال وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها كالزممار والدف حتى الضرب بالقضيب وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع فسق والتلذذ به كفر وقالوا يجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره⁽²²⁾.

رأي الشافعية: قال الشافعية: يحرم سماع الغناء من حرة أو أمة أجنبية بناء على قول عندنا أن صوت المرأة عورة سواء خاف فتنة بها أم لا وكلام الشيخين في الروضة يقتضي أن هذا هو الراجح في المذهب، وصرح بالتحريم القاضي الحسين أيضاً وادعى أنه لا خلاف فيه.

وقال الأذرعي: لو لم يكن المغني والمغنية محل الفتنة ولكن استماع الغناء منه يبعث على الافتتان بغيره من الناس فهو حرام لما فيه من الخبث وتحريك القلب الخرب إلى ما يهواه لاسيما أهل العشق والشغف ومن يشغل بصورة خاصة وهذا واضح لا ينزع فيه منصف⁽²³⁾.

رأي الحنابلة: أما رأي الحنابلة في الغناء فقد قال ابن قدامة⁽²⁴⁾ في المبحث المتعلق بهذه المسألة: واختلف أصحابنا في الغناء فذهب أبو بكر الخلال وصاحبه أبو بكر عبدالعزيز إلى أباحته، قال أبو بكر عبدالعزيز: والغناء والنوح معنى واحد مباح ما لم يكن معه منكر وقال أحمد: الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني، وذهب آخرون من أصحابنا إلى تحريمه، واحتجوا على تحريمه بما روي عن ابن الحنفية في قوله تعالى: ﴿واجتنبوا قول

الزور(30)» سورة الحج. قال الغناء. وعلى كل حال من اتخذ الغناء صناعة يؤتى له أو يأتي له أو اتخذ غلاماً أو جارية مغنيين يجمع عليهما الناس فلا شهادة له لأن هذا عند من لم يحرمه سفه ودناءة وسقوط مروءة، ومن حرمه فهو مع سفه عاصٍ مُصِرٌّ متظاهر بفسوقه وبهذا قال الشافعي وأصحاب الرأي⁽²⁴⁾.

المبحث الثالث: ما رخص فيه من الغناء:

إن من سماحه الإسلام أن أحكامه مبنية على أصول متينة وحكم عظيمة بحيث لا يتطرق إليه الخلل والنقص بأي حال من الأحوال وفي أي زمن من الأزمان وذلك لأن المشرع حكيم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)﴾ سورة الملك. ومن تلك السماحة أن الأمور المحرمة منضبطة ومحصورة وحرمت نظراً لما يترتب عليها من مفساد وأضرار في الدين أو النفس أو العقل أو العرض أو المال، وما خلا ذلك فهو داخل في حيز الإباحة، والغناء من ضمن المسائل التي تحرم في حال دون الآخر، وقد تقدم في المباحث الماضية بيان المواطن التي يحرم فيها الغناء وضوابط التحريم، ويتعرض في هذا المبحث للأحوال التي يجوز فيها.

تقدم أن الغناء يحرم إذا كان يحتوي على ما يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن، أما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند التنشيط على الأعمال الشاقة كما كان في حفر الخندق⁽²⁵⁾ وحدو أنجشة⁽²⁶⁾ وسلمة بن الأكوع⁽²⁷⁾، أما ما ابتدعه الناس من الإدمان على سماع الأغاني بالآلات المطربة من الشبابات والطار والمعارف والأوتار فحرام، وأما طبل الحرب فلا حرج فيه لأنه يقيم النفوس ويهيب العدو⁽²⁸⁾.

هذا ومما يباح من الغناء ما اعتاد الناس استعماله لمحاولة عمل وحمل ثقيل وقطع مفاوز سفر ترويحاً للنفوس وتنشيطاً لها كحذاء الأعراب بإبلهم، وغناء النساء لتسكين

صغارهن، ولعب الجواري بلعبهن فهذا إذا سلم المغني به من فحش وذكر محرم كوصف الخمور والقينات لا شك في جوازه لا يختلف فيه وربما يندب إليه إذا نشط إلى فعل الخير كالحداء في الحج والغزو⁽²⁹⁾.

وقال ابن عبد البر⁽³⁰⁾: الغناء الممنوع ما فيه تمطيط وإفساد لوزن الشعر طلباً للضرب وخروجاً من مذاهب العرب، وقال الماوردي⁽³¹⁾: هو الذي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه من غير نكير إلا في حالتين: أن يكثر منه جداً وأن يصحبه ما يمنعه منه، واحتج من أباحه بأن فيه ترويحاً للنفس، فإن فعله ليقوى على الطاعة فهو مطيع، أو على المعصية فهو عاص، وإلا فهو مثل التنزه في البستان والتفرج على المارة⁽³²⁾.

ومما يجوز فعله من الغناء إذا كان في مناسبة شرعية ولم يخرج عن إطار المباح لما رواه البخاري عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها والنبي صلى الله عليه وسلم عندها يوم فطر أو أضحى وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت الأنصار يوم بعث فقال أبو بكر: مزمار الشيطان مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم (دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وإن عيدنا هذا اليوم)⁽³³⁾.

ومما يجوز فعله من الغناء والطبل إذا كان في النكاح، وقد قرّر العلماء⁽³⁴⁾ أن الطبل بجميع أنواعه يجوز في النكاح، وذلك لأن الشأن في النكاح إظهاره وإفشاؤه والطبل وضرب الدفوف وسيلة لذلك، وقد قال صلى الله عليه وسلم (أعلنوا هذا النكاح في المساجد واضربوا عليه بالدفوف)⁽³⁵⁾. وقال صلى الله عليه وسلم (فصل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت)⁽³⁶⁾.

المبحث الرابع : أضرار الغناء :

إن المتمتع في أحكام وتعاليم الشريعة الإسلامية يجد أن الإسلام ما نهى عن شيء إلا لاجتناب ضرر يطرأ من هذا الشيء المنهي عنه، والشخص المنصف إذا نظر للغناء المنتشر الآن بين أغلب الشباب وفي معظم المناسبات يجزم لا محالة بحرمة واستحقاق فاعله والمستمع له للإثم وتعرضه لغضب الله تعالى وسخطه إضافة لما يلحقه من أضرار نجمت عن مخالفة أمر الله تعالى.

فمن الأضرار الوخيمة التي تصحب سماع الأغاني ظاهرة الميوعة والانهلال وهي من أقبح الظواهر التي تفشت بين أبناء المسلمين وبناتهم في هذا العصر الذي يلعب بعصر الشهوات، فحيثما أجلت النظر تجد كثيراً من المراهقين والشباب والمراهقات والشابات قد انساقوا وراء التقليد الأعمى، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية، دون رادع من دين أو وازع من ضمير.. كأن الحياة في تصورهم عبارة عن متعة زائلة، وشهوة هابطة ولذة محرمة، فترى الواحد من هؤلاء ليس له هم في الحياة إلا أن يتخفف في مظهره، وأن يتخلع في مشيته، وأن يتميع في منطقته، وهكذا يسير من فساد إلى فساد، ومن ميوعة إلى ميوعة حتى يقع في نهاية المطاف في الهاوية التي فيها دماره وهلاكه⁽³⁵⁾.

ومن الأضرار الوخيمة التي تتجم عن الغناء ما ورد على لسان يزيد بن الوليد: يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر فإن كنتم لابد فاعلين فجنّبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا⁽³⁶⁾.

هذا وما أجمع ما وصفه به الإمام ابن قيم الجوزية^(*) حيث قال: فمن خواصه - أي الغناء - أنه يلهي القلب ويصدّه عن فهم القرآن وتدبيره والعمل بما فيه فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً لما بينهما من التضاد فالقرآن ينهى عن اتباع الهوى

ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغي واتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر
بضد ذلك كله ويحسنه ويهيج النفوس إلى شهوات الغي فيثير كامنها ويزعج قاطناتها
ويحركها إلى كل قبيح فهو والخمر رضيعا لبان، وفي تهيجهما على القبايح فرسا رهان،
فبينما ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبهاء العقل وبهجة الإيمان ووقار الإسلام وحلاوة
القرآن فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله وقل حياؤه وذهبت مروءته وفارقه بهاؤه
وتخلّى عنه وقاره وثقل قرآنه وفرح به شيطانه، وهو أشد تأثيراً على المرأة لأن المرأة
سريعة الانفعال للأصوات جداً، فإذا اجتمع مع هذا المعازف والرقص بالتخنث والتكسر فلو
حبلت المرأة من غناء لحبلى من هذا الغناء، فلعمري الله كم من حرة صارت بالغناء من
البغايا وكم من حر أصبح به عبداً للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور وتبدل به اسماً قبيحاً
بين البرايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع البلايا، وكم جرع من
غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة، وذلك منه إحدى العطايا. ومن علامات النفاق: قلة
ذكر الله والكسل عند القيام على الصلاة ونقر الصلاة وقل أن تجد مفتوناً بالغناء إلا وهذا
وصفه⁽³⁷⁾.

هذا ومما تقدم من ذكر بعض أضرار الغناء جدير بالعاقل أن يتبع قوله صلى الله
عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار⁽³⁸⁾) ليسلم في دنياه من الفتن، وفي آخرته من العذاب
والحزن.

الختام

وبعد هذا الطواف العلمي في الكتاب والسنة، والبحث التحليلي المسنود بأقوال العلماء، وآراء الفقهاء، يتبين للشخص العاقل الحريص على سلامة دينه من الشبهات، وبراعة ساحته من التهمات، أن الغناء الذي يمارسه الكثير من الناس الآن والذي تتناقله الفضائيات زعماً منهم أنه من قبيل الثقافة والفن الذي يساعد على رقي المجتمع، هو زعم فاسد وادعاء باطل لا يقول به إلا شخص ساقط المروءة أو دنيء الهممة، وليتهم لو يفعلونه معتقدين حرمة إذاً لكان الأمر أهون، ولكنهم ادعوا إباحته بل حثوا الناس عليه ووصفوا النائي عنه بجمود الطبع أو التزمت أو سخافة العقل وهم بذلك يخلطون بين الغناء الذي إباحته الشريعة في مواطنه المعلومة، وبين التميع والانحلال والسفور والفجور.

هذا وينبغي للعلماء والدعاة والباحثين أن يقوموا بتوعية المجتمع بشتى طبقاته، وشرائحه من خلال برامج دعوية مقروءة ومسموعة حتى يتسنى للعلماء انتشار الشباب من مزلق الفتن وتخليصهم من تيارات الانحلال، والأخذ بيدهم إلى أن يتجاوزوا هذه المحنة فيصبحوا شباباً قوياً متيناً تنتفجر طاقاته في خدمة المجتمع والنهوض به إلى أرقى حالاته، فيصلح بذلك معاشه ومعاده.

هذا وقد تناول هذا البحث أهم النقاط التي تتعلق بالغناء من حيث تعريفه وأسمائه وأدلة تحريمه من الكتاب والسنة وآراء الفقهاء فيه والمواطن التي يباح فيها والأضرار الناجمة من استماع الغناء المحرم شرعاً، وفيما ذكرته كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الهوامش والمراجع

(1) لسان العرب للإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي - دار صادر بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة 1414هـ - 1994م - 139/15 مادة غنا.

(2) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - المكتبة التوفيقية - مصر - القاهرة 46/13.

(3) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان للإمام أبي عبدالله محمد ابن قيم الجوزية ت (751هـ) مكتبة الصفا - مصر - الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م تحقيق طه عبدالرؤوف سعد - ص (214-228) نقل بتصرف.

(*) هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المعروف بابن الحنفية، ولد في خلافة أبي بكر، وقيل في خلافة عمر، وكان من أفاضل أهل بيته، توفي سنة ثلاث وسبعين. انظر تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) - دار الفكر بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1415هـ/1995م - ضبط ومراجعة صدقي جميل العطار. 333/7.

(*) هو أبو علي الفضيل بن عياض رضي الله عنه ابن مسعود ابن بشر التميمي خراساني المنشأ من ناحية مرو من قرية تعرف بفنديين، كان ورعاً زاهداً عالماً حكيماً مات بالحرم الشريف سنة سبع وثمانين ومائة رضي الله عنه. الطبقات الكبرى للإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري المعروف بالشعراني - دار الجيل - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1408هـ - 1998م - 68/1 نقل بتصرف.

(4) الحديث أخرجه أبو داود في 35 - كتاب الأدب 59 - باب في النهي عن الغناء 287/3 حديث رقم 4927، وهو ضعيف فيه راو مجهول. سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث - ت(275هـ) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1416هـ - 1996م تحقيق محمد بن عبدالعزيز الخالدي.

(*) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، كان تابعياً وعالمًا كبيراً وكانت ولادته سنة ستين للهجرة وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط رضي الله عنه، انظر وفيات الأعيان لابن خلكان - دار الثقافة بيروت - لبنان - تحقيق د. إحسان عباس (85،86/4).

(5) هذا الأثر موقوف على قتادة رضي الله عنه، أورده ابن القيم الجوزية في إغاثة اللهفان، ص 223.

(6) الحديث أخرجه الترمذي في 8 - كتاب الجنائز 24 - باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت - سنن الترمذي للإمام أبي عيسى الترمذي دار الفكر - بيروت - لبنان 1415هـ - 1995م ومعه تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام المبارك فوري.

(*) هو عكرمة البربري مولى ابن عباس، أصله من البربر، كان عالماً بالمغازي والتفسير وهو تابعي ثقة، مات سنة خمس ومائة، انظر تهذيب التهذيب، 634/5-637 بتصرف، للإمام ابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م.

(*) هو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، ولد في أوائل القرن السابع الهجري، كان من العلماء العارفين والزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة، من مصنفاته

((الجامع لأحكام القرآن)) و ((التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)) توفي في منية بن الخصيب سنة 671هـ. انظر مقدمة تفسير القرطبي 14/1، 15. نقل بتصريف.

(7) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري 83/27، دار الفكر - بيروت - لبنان، 1405هـ/1984م.

(*) هو مجاهد بن جبر المكي، من كبار التابعين ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر، كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث وقد أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به، مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد - المرجع السابق لابن حجر العسقلاني (8/48-50) نقل بتصريف.

(8) مصدر سابق للقرطبي 43/14 نقل بتصريف.

(9) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت (807) دار الكتاب العربي بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة 1402هـ-1982م - باب ما جاء في الشعر والشعراء (8/119، 120) وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها وثقوا وضعفوا.

(10) الحديث أخرجه الترمذي في (34) كتاب الفتن 38 - باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف 383/6 حديث رقم 2210 عن علي رضي الله عنه، وفي الحديث انقطاع لأن رواية محمد بن عمر بن علي عن جده علي مرسلة.

(11) الحديث أخرجه الترمذي في 48 - كتاب التفسير - 32 - باب ومن سورة لقمان 45/9 - حديث رقم 3195 عن أبي أمامة رضي الله عنه،

وهو ضعيف فيه علي بن يزيد وهو ضعيف، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وأخرجه أحمد في مسنده 264/5 عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(12) المرجع السابق لابن منظور 351/13 مادة قين.

(13) ركساً: يقال ركست الشيء وأركسته إذا رددته ورجعته، انظر النهاية في

غريب الحديث والأثر 259/2 للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير دار الباز - مكة المكرمة تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي.

(14) دعهما: الدُعُ: الطرد والدفع. المرجع السابق لابن الأثير 119/2.

(15) الحديث أخرجه أحمد في مسنده 421/4 عن أبي برزة رضي الله عنه.

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - باب ما جاء في الشعر والشعراء 121/8 وعزاه لأحمد والبزار. وقال: فيه يزيد بن أبي زياد والأكثر على تضعيفه.

(16) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه - باب إخباره صلى الله عليه وسلم

عما يكون في أمته من الفتن والحوادث 207/6، 208 حديث رقم 6767.

الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان. ترتيب الأمير علاء الدين علي بن

بلبان - دار الفكر بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.

(17) استدفروا: الدفر: النَّتَن، ويقال كذلك دفره في قفاه إذا دفعه دفعاً عنيفاً.

المرجع السابق لابن الأثير 124/2.

(18) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم 351/5

حديث رقم 8520. وقال الذهبي في التلخيص: فيه سليمان اليمامي وقد

ضعفه. المستدرک على الصحيحين للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله

النيسابوري المعروف بالحاكم ت (405هـ) دار الفكر - بيروت لبنان
الطبعة الأولى 1421هـ-2001م، تحقيق وتقديم الدكتور محمود
مطرجي.

- (19) الكبر: هو الطبل الصغير، المرجع السابق لابن الأثير 143/4.
- (20) برابط: البربط ملهاة تشبه العود. المرجع السابق لابن الأثير 112/1.
- (21) انظر مواهب الجليل لشرح مختصر خليل 8/4 للإمام أبي عبد الله محمد بن
محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب - ت(954هـ) - دار
الفكر - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية 1398هـ-1978م.
- (22) انظر شرح فتح القدير، للإمام ابن الهمام الحنفي، دار الفكر، بيروت -
لبنان، 408/7-411 بتصرف.
- (23) انظر كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع للإمام أبي العباس أحمد بن
محمد بن علي بن حجر المكي الهيثمي ت(974هـ) دار الفكر - بيروت
- لبنان - ط 1983م - 376/2 نقل بتصرف.
- (*) هو أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة صاحب "المغني" ولد
بجماعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمس مائة، كان عالم أهل
الشام في زمانه وهو إمام الأئمة ومفتي الأمة، صنف "المغني" و "الكافي" و
"المقنع" و "العمدة" وغيرها، توفي سنة عشرين وست مائة. انظر سير أعلام
النبلاء للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (748هـ)
مكتبة الصفا - مصر - الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م اعتنى به محمد
بن عبادي. 90-87/13.

- (24) انظر المغني للإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد ابن قدامة ت 620هـ على مختصر الإمام أبي القاسم عمر ابن القاسم عمر بن الحسين بن عبدالله بن أحمد الخرقى ت 334هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان 1412هـ - 1992 - 42/12، 43 نقل بتصريف.
- (25) إشارة للحديث الذي أخرجه البخاري في 64 - كتاب المغازي 29 - باب غزوة الخندق 305/2 حديث رقم 4098. عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأغفر للمهاجرين والأنصار)) وفي رواية أنس في الحديث الذي يليه ((اللهم إن العيش عيش الآخرة فأغفر للأنصار والمهاجرة)) فقالوا مجيبين له:
- نحن الذين بايعوا محمداً * على الجهاد ما بقينا أبداً
- صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن برذبه البخاري مكتبة الصفا - مصر - الطبعة الأولى 1423هـ - 2003م.
- (26) إشارة للحديث الذي أخرجه البخاري في 78 - كتاب الأدب 90 - باب ما يجوز من الشعر... إلخ - 169/3 حديث رقم 6149 عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه ومعهن أم سليم فقال: ((ويحك يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير)).
- (27) إشارة للحديث الذي أخرجه البخاري في 78 - كتاب الأدب 90 - باب ما يجوز من الشعر... إلخ 168/3 حديث رقم 6148. عن سلمة بن الأكوع

قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ** ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اقتفينا ** وثبت الأقدام إن لاقينا

وألقيين سكينه علينا ** إنا إذا صبح بنا آتينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من هذا السائق؟)) قالوا عامر بن

الأكوع. فقال: ((يرحمه الله))... الحديث مطولاً.

(28) المرجع السابق للقرطبي 46/14 بتصرف.

(29) المرجع السابق لابن حجر الهيتمي - 277/2.

(*) هو أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي، إمام

عصره في الحديث والأثر، طلب العلم وافتن فيه، وألف في الموطأ كتاباً

مفيدة، توفي يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين

وأربعمئة بمدينة شاطبة من شرق الأندلس. المرجع السابق لابن خلكان

(71-66/7).

(*) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي كان

حافظاً للمذهب الشافعي وله من التصانيف ((أدب الدين والدنيا)) و ((الأحكام

السلطانية)) و ((الإقناع)) وغيرها. توفي سنة خمسين وأربعمئة ودفن في

مقبرة باب حرب ببغداد. المرجع السابق لابن خلكان (284-282/3).

(30) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر

العسقلاني ت 852هـ - مكتبة الصفا - مصر الطبعة الأولى 1424هـ

- 2003م مع تعليقات العلامة عبدالعزيز بن باز 634/10 نقل بتصرف.

- (31) الحديث أخرجه البخاري في 63 - كتاب مناقب الأنصار 46 - باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة 266/2 حديث رقم 3931. وأخرجه مسلم في 8 - كتاب صلاة العيدين 4 - باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد 152/6 حديث رقم 892. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي دار الفكر.
- (32) انظر بلغة السالك لأقرب المسالك - باب الوليمة 503/2 للإمام أحمد بن محمد الصاوي - دار المعارف - مصر - 1932م ومعه الشرح الصغير للإمام أحمد الدردير - خرج أحاديثه وفهرسه الدكتور مصطفى كمال وصفي.
- (33) الحديث أخرجه الترمذي في 9 - كتاب النكاح 6 - باب ما جاء في إعلان النكاح 154/4 حديث رقم 1089 عن عائشة رضي الله عنها. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب في هذا الباب، وعيسى بن ميمون الأنصاري يضعف في الحديث.
- (34) الحديث أخرجه الترمذي في 9 - كتاب النكاح 6 - باب ما جاء في إعلان النكاح - 153/4 حديث رقم 1088 عن محمد بن حاطب الجمحي رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن. وقال شارح الترمذي الحافظ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري في تعليقه على هذا الحديث: الظاهر عندي والله تعالى أعلم أن المراد بالصوت ههنا الغناء المباح فإن الغناء المباح بالدف جائز في العرس. أهـ.
- (35) تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله ناصح علوان دار السلام - حلب - سوريا - الطبعة الثالثة 1401هـ - 1981م. 181/1 نقل بتصرف.
- (36) المرجع السابق - لابن قيم الجوزية - ص 219.
- (*) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حرير الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية، ولد في صفر عام 691هـ، تتلمذ

على علماء كبار كابن الشيرازي والشهاب النابلسي وابن تيمية ومن تتلمذ علي يديه ابن رجب الحنبلي، له من التصانيف ((بدائع الفوائد)) و ((أعلام الموقعين)) وغيرهما توفي في رجب سنة 751هـ. انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني - دار الجيل - بيروت - لبنان 400/3-403 نقل بتصريف.

(37) المرجع السابق لابن قيم الجوزية ص 220-223 نقل بتصريف.

(38) الحديث أخرجه ابن ماجه في 14 - كتاب الأحكام 17 - باب من بنى في حقه ما يضر بجاره 44/2 حديث رقم 2363 عن ابن عباس رضي الله عنه وفي إسناده جابر الجعفي وهو متهم وأخرجه مالك في موطنه في 36 - كتاب الأقضية 26 - باب القضاء في المرفق ص 531 حديث رقم 31 عن يحيى المازني فهو مرسل.